

:: القائمة الرئيسية ::
سلسلة الحقائق الغائبة
شبهات الشيعة والرد عليها
صوتيات ومرئيات عن الشيعة
صور وحقائق ووثائق عن الشيعة
بحوث ومقالات عن الشيعة
جولة في كتب الشيعة (صفحات مصورة)
كتب في بيان عقائد الشيعة
الشيعة حول العالم
أنت تسأل ونحن نجيب
مواقع ننصح بزيارتها

الرئيسية ← شبهات الشيعة والرد عليها ← شبهات حول الشيخ محمد بن... ← مذكرات همفر في الميزان ..

مذكرات همفر في الميزان ..

مذكرات (همفر) في الميزان

بقلم: مالك بن حُسين

وقفت على كتاب موسوم بـ- (مذكرات مستر همفر)(1)، وهذا الاسم ليس بالغريب، فقد كنت أول ما قرأت عنه في "مجلة منار الهدى" التي يصدرها المكتب الإعلامي في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، (العدد 28)، رمضان 1415هـ - شباط 1995، وهي مجلة يصدرها جماعة الأحباش (الهَرَرِيّين)، ولَمَّا قرأت ذلك المقال، تطلَّعتْ نفسي للاطلاع على كتاب أو مذكرات هذا الجاسوس الإنجليزي - نفسِها - ؛ حتى أنظر فيه، وأعرف مدى صدق ما نُسِبَ للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في هذه المذكرات.

وبعد قراءة هذه المذكرات تبيَّن لي أنَّها كذب من أصلها، وأنَّ (همفر) - هذا - شخصية وهميَّة، فأحببت أن أُطلع إخواني على ما وقفت عليه، حتى يكون هذا عوناً لهم في الدَّفاع عن الإمام - رحمه الله -، وليدفعوا بها في نحر كل مبتدع؛ {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق} (الإسراء: 81).

قال الله - تعالى - : {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين} (الحجرات: 6).

في هذه الآية درس عملي للفئة المؤمنة، التي تحرص على دينها وعلاقاتها بإخوانها المؤمنين، بأن تتوثَّق من كل إشاعة ترمي إلى خلخلة الصف، وبذر الشحناء، وإتاحة الفرصة للفرقة(2).

وما زال أعداء (الشيخ محمد بن عبدالوهاب) -رحمه الله- يحاولون بشتى الطرق والوسائل تشويه (دعوته الإصلاحية)، وبضاعتهم مزجاة، ليس فيها إلا (الكذب) و(الافتراء)، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فيا طالب الحق! رسائل الإمام المجدد (محمد بن عبدالوهاب) -رحمه الله- ومؤلفاته مطبوعة على النحو التالي:

القسم الأول: العقيدة، مجلد . القسم الثاني: الفقه، مجلدان. القسم الثالث: "مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم"، والفتاوى، مجلد. القسم الرابع: التفسير، ومختصر "زاد المعاد"، مجلد. القسم الخامس: الرسائل الشخصية، مجلد. قسم الحديث: خمس مجلدات. ملحق المصنفات، جلد .

فهذه (اثنا عشر مجلداً)، جمعَتها لجنة علمية متخصصة، منبثقة من جامعة (الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، وصنَّفها وأعدَّها للتصحيح تمهيداً لطبعها: الدكتور) عبدالعزيز بن زيد الرومي)، والدكتور (محمد بلتاجي)، والدكتور (سيد حجاب)، وطبعت (بمطابع الرياض) .

فمن كان طالباً للحقِّ، فعليه أن يُقارِن بين كلام الإمام - رحمه الله - وبين كلام خصومه، فهذه كتبه ورسائله مطبوعة، فما كان فيها من حقٍّ قبلناه، وما كان فيها من خطأ، ومُخالفة للصواب رددناه، ولا نتعصَّب لأحدٍ، كائناً من كان، إلا الذي لا ينطق عن الهوى، الحبيب المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.(3)

أمَّا أن نعتمد على كلام (كافر نصراني.. نكرة مجهول)، كان يشرب الكأس إلى الثُّمالة(4)، بل هو يذكر عن نفسه الكذب(5) .

ومن جعل الغراب له دليلاً يَمُرُّ به على جِيَفِ الكلاب

كيف يكون هذا ؟ والذي يتَّضح من رسائل وردود الإمام - رحمه الله - أنَّ فيها نفياً وتفنيداً لِمَا أُلصق بدعوته من تُهم وأكاذيب، لم يقلها، بل نفاها، وكرَّر مراراً القولَ: "هذا بهتان عظيم"(6) .

ورحم الله الإمام الذهبي القائل: "ولم نر ذلك في كتبه"(7)، وذلك لما حكى أموراً نقلها بعضهم قد اتُّهِم بها الإمام ابن جرير الطبري –رحمه الله -.

وإنني أقول:إنَّ ما ورد في هذه (المذكرات) هو محضُ هُراءٍ، وكلامٌ عارٍ عن الدليل، لا ينطلي إلا على أحد رجلين:الأول: جاهل جهلاً مركبّاً، غبيٌّ لا يُفرِّق ما بين كوعه وكرسوعه .

والثاني: صاحب هوىً مبتدع، عدوٌّ لدعوة التوحيد .

فاتقوا الله، فإن لحوم العلماء مسمومة، وسنَّة الله في منتقصيهم معلومة، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثَّلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب... نسأل الله السَّلامة والعافية .

مذكرات (همفر) باطلة من أصلها و (همفر) شخصية وهميَّة:

وبعد دراستي لهذه (المذكرات) تبيَّن لي أنَّ هذه المذكرات من نسج خيال (فَرْد) أو (مجموعة) ؛ المقصود منها تشويه دعوة (الإمام محمد بن عبد الوهاب) - رحمه الله - بالكذب والافتراء، والأدلة على ما أقول كثيرة، إليك بعضاً منها:

أولاً: بِتَتَبُّع التواريخ المذكورة في) المذكرات) يظهر لنا أنَّ (همفر!!) لَمَّا التقى بالشيخ - رحمه الله -، كان عمر الشيخ - الافتراضي - وقتئذ (عشر سنين!!)، وهذا أمر لا يتناسب - بل يتناقض - مع ما ذُكر في المذكرات (ص30) من أنَّ (همفر) تعرَّف: "على شاب كان يتردد على هذا الدكان، يعرف اللغات الثلاث، التركية والفارسية والعربية، كان في زي طلبة العلوم الدينية، وكان يسمى بـ- (محمد بن عبد الوهاب) وكان شاباً طموحاً للغاية" أهـ.

وإليك تفصيلَ ذلك بالدليل:

-ذكر أنَّ وزارة المستعمرات)البريطانية) أوفدته إلى الآستانة (مركز الخلافة الإسلامية) سنة (1710م -1122هـ (

-ذكر في (ص18) أنه مكث في الآستانة سنتين، ثم رجع إلى لندن حسب الأوامر، لتقديم تقرير مُفصل عن الأوضاع في عاصمة الخلافة.

-ذكر في (ص22) أنَّه مكث في لندن ستة أشهر.

-ذكر في (ص22) أنه توجه إلى البصرة، وأخذت منه الرحلة ستة أشهر.

-وفي أثناء وجوده في البصرة التقى بالشيخ - رحمه الله.-

-يكون مجموع التواريخ الماضية هو (1713) أي : سنة (1125 هـ) (8) ، والشيخ - رحمه الله - ولد سنة (1703 م) (1115هـ)، فيكون عمر الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) - رحمه الله - وقت لقاء (همفر) به، عشر سنين!! وهذا واضح جداً في بطلان هذه المذكرات جملةً وتفصيلاً .

ثانياً: ذُكر في (المذكرات) (ص100) أن الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) - رحمه الله - أظهر دعوته في سنة (1143) هجرية، وهذا كذب واضح، حيث إن تاريخ إعلان الشيخ - رحمه الله - دعوته هو نفسه التاريخ الذي توفي فيه والده، وهو سنة (1153هـ) (9)، فانظر إلى هذا التفاوت الواضح في التاريخ .

ثالثاً: إنَّ موقف (الحكومة البريطانية) من دعوة الشيخ (محمد بن عبد الوهاب)، ليس التأييد والدعم، وإنما هو العداء والمحاربة - كما سيأتي معنا بدليله .-

رابعاً: لا نَجِدُ ذكراً لهذه (المذكرات) في سالف الزمان، رغم حرص أعداء هذه (الدَّعوة المُباركة) على تشويهها، ونشر كل ما يُسيء إليها، وخروجها في هذا الوقت المُتأخر دليل على افترائها وتلفيقها .

خامساً :همفر) هذا (نكرةٌ) لا يُعرَف، فأين هي المعلومات التفصيليَّة عنه، من حيث اسمُه، ورتبتُه، وما يتعلق بوظيفته ومهمَّتِه من كتب ووثائق (الحكومة البريطانية) ؟!

سادساً: إنَّ الذي يقرأ هذه (المذكرات) يجزم بأنَّ مؤلفها ليس نصرانياً، لوجود كثير من العبارات التي فيها الطعن والانتقاص (بالدّين النصراني) و(الإنجليز) أنفسهم، وبعض العبارات التي فيها مدح (الإسلام)، من ذلك –على سبيل

المثال- انظر: (ص14، 15، 16، 24، 26، 48، 50، 66 . (
سابعاً: النسختان المطبوعتان ترجمةٌ لهذه (المذكرات(، لم يُذكر فيهما أية معلومات عن هذه (المذكرات)، من حيث النسخة الأصلية التي تُرجمَت عنها، وهل هي مطبوعة أم مخطوطة؟! وبأيّ لغة؟!
ثامناً: المُترجِمُ نكرة، ففي النسخة (أ) لم يُذكر عنه أيُّ شيء، وفي النسخةً (ب) رمز له بـ- (د.م.ع.خ!!(
تاسعاً: كثرة الفروق بين (النسختين) (المترجمتين) ، وبعضها فروق جوهرية .
عاشراً: في النسخة) ب) تاريخ ترجمة هو : (25 حزيران 1990)، فهل مثل هذه (الوثائق المهمَّة) تبقي حبيسة، ولا ترى النُّور إلا بعد (199) عاماً من وفاة الشيخ - رحمه الله - ؟!!
الحادي عشر: اتَّفقت (النسختان) على كتابة تاريخ (1973 /2/1) في نهاية (المذكرات)، وهذا التاريخ لا أدري ما هو: هل هو تاريخ كتابة هذه (المذكرات) من (همفر) - كما هو ظاهر - !! وهذا يؤكد كذب هذه المذكرات، إذ إنَّ وفاة الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) - رحمه الله - قبل هذا التاريخ بأعوام كثيرة!
أم هو تاريخ افتراء واختلاق هذه (المذكرات)؟!!
الثاني عشر: إنَّ ما في كُتب الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) كلَّه يُكذِّب ما ورد في هذه المذكرات، كما سيأتي تفصيله - إن شاء الله - في الصفحات القادمة .
الثالث عشر: إن واقع الشيخ - رحمه الله - وواقع دعوته، ينفي ذلك كلَّه.
الرابع عشر: شهادة أعداء الشيخ - رحمه الله - ؛ من مسلمين وكفار تنفي عنه ما في هذه المذكرات، وهذا أمر مستفيض، ولو تتبعناه لطال بنا البحث .
موقف (الإنجليز) من دعوة الإمام (محمد بن عبد الوهاب) - رحمه الله:-
لمس الإنجليز آثار دعوة الشيخ - رحمه الله - السَّلفية، في أعظم مكان يعتزُّون باستعماره والاستيلاء على خيراته، عندما تلقَّفها الهنود على يد الدَّاعية الإسلامي (أحمد بن عرفان)، الشهير (بأحمد باريلي)، وأتباعه، وفي حركات أُخرى مثل:)الفراتقيين وتيتومان) (نزار علي) (10)، تلك الدَّعوات التي ناوأت (القاديانيَّة (الكافرة، التي أرادها (الإنجليز) واجهة إسلامية تُحقّق مآربهم، وينضوي تحتها من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه .
ويظهر انزعاج (الإنجليز) وحرصهم على القضاء على دعوة الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) - رحمه الله - ؛ - التي تُمثّل يقظة جديدة في الدين الإسلامي، ودعوة إلى فهمه من مصادره الصَّافية، كتاب الله وسنَّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم -، أنَّهم بذلوا جهوداً وأموالاً في هذا السَّبيل .
وقد أبانت رحلة (سادلير) الضابط البريطاني، وقائد الفوج (47)، ومبعوث (الحكومة البريطانية) في) الهند)، الذي قام برحلة شاقَّة من (الهند) إلى أن وصل (الرياض)، ووقف على أطلال) الدرعيَّة)، التي هدمها (إبراهيم باشا)، بناءً على تخطيط اشترك في الإعداد له) الإنجليز)، ليطمئن على تفتيت (الحكومة الإسلاميَّة) التي تحرَّكت في (الجزيرة (لإيقاظ المسلمين، وليقضي على قاعدة (الدعوة السَّلفيَّة) بنفسه، لِما أحدثته من خوف وقلق في داخل (الحكومة الإنجليزية) خوفاً على مصالحها، وقد كان في (رحلته) هذه ضمن قافلة كبيرة أغلبها من الأتراك، أبانت هذه (الرحلة) جانباً مهمَّاً في التعاطف والحرص على القضاء على هذه (الدَّعوة)، التي تُمثّل يقظة إسلامية توحِّد المسلمين، كما أبانت عن حقد (الإنجليز) على (الإسلام)، ذلك الحقد المُخطَّط له من (التَّبشير الكنسي) المُوجَّه بأفكار (المستشرقين) ودسائسهم .
فقد مرَّ (سادلير) (بالدِّرعية) متخفّياً في (13) أغسطس من عام (1819م) (11)، وبعد أن ارتاحت نفسه، شدَّ الرِّحال لاحقاً (بإبراهيم باشا)، حتى أدركه في (آبار علي)، على مقربة من) المدينة المنورة)، ليُقدِّم له التَّهاني بهذا النَّصر(12)، مقرونة بهدايا (حكومة الهند الشرقية = الحكومة البريطانية .(

الرد التَّفصيلي على ما ورد في هذه المذكرات:
الملاحظة الأولى: ذكر في (ص 30) أنَّ الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) كانت له صداقة لرجل شيعي اسمه (عبد الرضا .(
أقول: صداقة الشيخ - رحمه الله - للشِّيعة من أوضح الباطل، وهو كذب مفضوح، وللشيخ - رحمه الله - رسالة مطبوعة مُتداولة بعُنوان: "رسالة في الرَّدِّ على الرَّافضة"(13)، وهي قوية في بابها في الرَّدِّ على الشيعة، وعقائدهم الشنيعة..
الملاحظة الثانية: ذكر في (ص 30)، أنه في البصرة يلتقي السُّنّي والشِّيعي وكأنهما إخوة.
أقول: هذا أمر يدل على جهل كاتب هذه (الافتراءات)، فهذا أمرٌ لم يكن في يوم من الأيام –البتة-، ولن يكون أبداً، فالشيعة يكفّرون أهل السنة، وأهل السنة أثبتوا –من كتب الشيعة- أنفسهم تحريفهم للقرآن، وتكفيرهم للصحابة إلا نفراً يسيراً، والغلو في أئمتهم، وأنهم أوصلوهم إلى مرتبة الألوهية... وغير ذلك مما ليس هذا مجال بسطه موثقاً(14 !!!(

الملاحظة الثالثة: ذكر في (ص30)؛ أن الشيخ (محمد بن عبدالوهاب (كان يعرف اللغات الثلاث: التركية، والفارسية، والعربية.

أقول: هذا أمر ليس بثابت؛ بل هو باطلٌ جداً، ويُستبعد أن يتعلم الشيخ –رحمه الله- لغة أعجمية ليس مضطراً لها، وقد استغنى بالعربية؛ وهي لغة (السلف الصالح) من المسلمين، والتي نزل بها القرآن، ودُوّنت بها السنة؛ وليس في مؤلفات الشيخ –رحمه الله- وآثاره ما يدل على شيء من هذا –البتة- ، بل إنها على (المنهج السلفي)، بعيدة كل البعد عن مخالفة طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه(15 .(

الملاحظة الرابعة: ذكر في (ص 31)؛ أن (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) لم يكن يرى أي وزن لأتباع المذاهب الأربعة المتداولة بين أهل السنة ويقول: إنها ما أنزل الله بها من سلطان!

أقول: موقف الشيخ - رحمه الله - من المذاهب الأربعة واضح في كتبه؛ ومما قاله في بيان مذهبه: "نحن مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة؛ أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل - رحمهم الله -" أهـ(16 .(

وقال - رحمه الله - : "أما مذهبنا؛ فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة، إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها" أهـ(17)

وقال - رحمه الله - : "وأما المتأخرون - رحمهم الله - فكتبهم عندنا؛ نعمل بما وافق النص منها، وما لم يوافق النص لا نعمل به"أهـ(18 .(

وأنقل لك شهادة الشيخ (محمد رشيد رضا) حيث قال: "... وأنهم(19) في الأصول على مذهب جمهور السلف الصالح، وفي الفروع على مذهب الإمام (أحمد)، وأنهم يحترمون مذاهب (الأئمة الأربعة(، ولا يفرقون بين أحد من مقلديهم، وإنما قال (ابن عابدين) - ومن تبعه - ما قاله؛ تصديقاً لأكاذيب الشيخ (أحمد دحلان) ومفترياته، مع عدم وجود شيء من كتب (الشيخ (وكتب (أولاده وأحفاده) في الأيدي، ونحن كنا نصدق هذه الإشاعات التي أشاعتها السياسة)التركية) عنهم تصديقاً (لابن عابدين) وأمثاله؛ وقد طبعت كتبهم وكتب أنصارهم في عصرنا، فلا عذر لأحد في تصديق (الحشوية) (والمبتدعة) (وأهل الأهواء) فيهم، وقد ذُكرت هذه الإشاعات مرةً بمجلس الأستاذ الكبير الشيخ (أبي الفضل الجيزاوي) (شيخ الأزهر) في إدارة المعاهد الدينية، فاستحضرت لهم نسخاً من كتاب "الهدية السنية "فراجعها (الشيخ الكبير)، وعنده طائفة من أشهر (علماء الأزهر)، فاعترفوا بأن ما فيها هو عين مذهب جمهور أهل السنة والجماعة" أهـ(20 .(

الملاحظة الخامسة: ذكر في (ص 30)؛ أن الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) و(عبد الرضا) الشيعي كانا ناقِمَيْنِ على الخليفة .

أقول: والجواب على هذا من وجوه، هي:

- 1الشيخ - رحمه الله - يرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين؛ ومن ذلك قوله: "وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برِّهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة، وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه" أهـ(21)،وقال أيضاً: "الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبداً حبشياً، فبين الله له هذا بياناً شائعاً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند كثير ممن يدعي العلم، فكيف العمل به؟!" أهـ (22.(

- 2الشيخ - رحمه الله - كان لا يجد أدنى شكٍ في أن محل دعوته ليست خاضعة لدولة الخلافة؛ من ذلك قوله: "أن هذا الذي أنكروا علي وأبغضوني وعادوني من أجله، إذا سألوا عنه كل عالم في الشام أو اليمن أو غيرهم، يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره في مكاني لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبد الوهاب أظهره؛ لأن الحاكم في بلده ما أنكره؛ بل لما عرف الحق اتبعه" اهـ(23.(

- 3هذه كتب الشيخ - رحمه الله - بين أيدينا، وليس فيه ما يدل على أي موقف عدائي ضد (دولة الخلافة)، ولا أي فتوى له - رحمه الله - تكفر (الدولة العثمانية)، وكانت سياسة الشيخ - رحمه الله - وموقفه تجاه (الدولة العثمانية)؛ أنه لم يُؤثر عنه - طوال حياته - تحريضٌ، أو استعداء، أو دعوة لحربها، أو الاستيلاء عليها؛ لشعوره أن ذلك الفعل يُفسر على أنه خروج على (دولة الخلافة(، ولم تُحرك (دولة الخلافة) ساكناً، ولم تبدُر منها أية مبادرة امتعاض، أو خلاف يُذكر؛ رغم توالي أربعة من (سلاطين آل عثمان) الخلافة، أثناء حياة الشيخ - رحمه الله. -

- 4دولة (الخلافة العثمانية) لم يكن لها سيطرة على (نجد)، فلم تشهد (نجد) - على العموم - نفوذاً (للدولة العثمانية)، وما امتد إليها سلطانها؛ فلم يكن في (نجد) رئاسة ولا إمارة (للأتراك)، ولا أتى إليها (ولاة عثمانيون)، ولا جابت خلال ديارها حامية (تركية)؛ في الزمان الذي سبق ظهور دعوة الشيخ (محمد بن عبد الوهاب)؛ بل كانت (نجد) (إمارات

صغيرة) (وقرى متناثرة)، وعلى كل بلدة أو قرية - مهما صغرت - أمير مستقل، وهي إمارات بينها قتال وحروب ومشاجرات .

ومما يدل على هذه (الحقيقة التاريخية) استقراء تقسيمات (الدولة العثمانية) الإدارية، فمن خلال (رسالة تركية (عنوانها: "قوانين آل عثمان در مضامين دفتر ديوان" - يعني: (قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان) - ألفها (يمين علي أفندي)؛ الذي كان أميناً للدفتر الخاقاني، سنة (1018هـ) الموافقة لسنة (1690م)، ونشرها (ساطع الحصري) ملحقاً من ملاحق كتابه" البلاد العربية والدولة العثمانية" (ص 230 - 240)؛ من خلال هذه الرسالة تبيّن أنه منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري، كانت (دولة آل عثمان) تنقسم إلى (32) إيالة، منها (14) إيالة عربيّة، وبلاد (نجد) ليست منها، ما عدا (الأحساء)، إن اعتبرناها من) نجد .(

ثم إن نفوذ (العثمانيين) ما لبث أن ضعف في (جزيرة العرب)؛ نتيجة لمشاكلهم الداخلية والخارجية، فاضطروا في نهاية الأمر إلى ترك (اليمن)؛ بسبب ثورة أئمة صنعاء ضدهم، واضطروا إلى مغادرة (الأحساء) أيضاً أمام ثورة زعيم بني خالد)براك بن غرير) وأتباعه سنة (1080هـ) (24.(

- 5منطقة (نجد) لم تُعرَف بوجود شيء من (الخيرات) (والثروات)، التي تجعل تلك المنطقة محل طمع (الخلافة العثمانية(، وغيرها .

الملاحظة السادسة: ذكر (ص34) أن الشيخ - رحمه الله - كان له رأيه المستقل الذي لا يهتم حتى بالخلفاء الأربعة أمام ما يفهمه هو من القرآن والسنة .

وذكر في (ص37) أن (همفر) كان يبين للشيخ (محمد بن عبد الوهاب(، أنه أكثر موهبة من (علي وعمر!(

أقول: أما اعتقاد الشيخ - رحمه الله - في الصحابة - رضوان الله عليهم -؛ فهو التالي:

قال - رحمه الله - : "وأتولّى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكفُّ عن مساويهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم"(25)، وقال –رحمه الله-: "وقد جاءت الآيات والأحاديث النّاصة على أفضلية الصحابة، واستقامتهم على الدين" اهـ(26)

وقال –رحمه الله-: "وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على كمال الصحابة - رضي الله عنهم -، خصوصاً الخلفاء الراشدين، فإن ما ذكر في مدح كل واحد مشهور بل متواتر؛ لأنَّ نَقَلَةَ ذلك أقوام يستحيل تواطؤهم على الكذب، ويُفيد مجموع أخبارهم العلم اليقيني بكامل الصحابة وفضل الخلفاء"اهـ(27.(

وقال - رحمه الله" :- ومن اعتقد منهم - أي: الرافضة - ما يوجب إهانتهم - أي: الصحابة -؛ فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به من وجوب إكرامهم وتعظيمهم، ومن كذَّبه فيما ثبت عنه قطعاً؛ فقد كفر"اهـ(28)، وقال - رحمه الله -: "فمن سبَّهم؛ فقد خالف أمر الله به من إكرامهم، ومن اعتقد السوء فيهم كلهم، أو جمهورهم؛ فقد كذب الله - تعالى - فيما أخبر من كمالهم وفضائلهم، ومكذبه كافر" اهـ(29.(

الملاحظة السابعة: ذكر في (37-38) أن (همفر) قال للشيخ (محمد بن عبد الوهاب) بأن الجهاد ليس فرضاً... وبعد نقاش هز الشيخُ رأسه علامة للرضا!!

أقول: مذهب الشيخ - رحمه الله - في الجهاد بينه - جلياً - بقوله: "وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام؛ براً كان أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل" اهـ(30.(

فهذا يُكذِّب ذاك، ويُبطله...

الملاحظة الثامنة: ذكر في (38) أن (همفر (أقنع (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) بأن (متعة النساء جائزة)، وأنه تمتع بامرأة مسيحية من اللاتي كن مجندات من قِبل وزارة المستعمرات لإفساد الشباب المسلم !

أقول: سلسلة الكذب لا تنتهي؛ فسبحان الله! فهل مثل هذا الكلام يُصدق عن (إمام من أئمة أهل السنة)؛ ألف كتاباً في (الرد على الرافضة)، وجعل الرد عليهم في مطالب، منها: (مطلب المتعة)، قال - رحمة الله - في نهاية المطلب - ما نصُّه -: "والحاصل: أن المتعة كانت حلالاً ثم نُسخت وحُرمت تحريماً مؤبداً، فمن فعلها؛ فقد فتح على نفسه باب الزنا"أهـ(31.(

الملاحظة التاسعة: ذكر في (38 و 42) أن) همفر) بعد نقاش أقنع (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) بأن (شرب الخمر) ليس بحرام، وأن) الصلاة) ليست فرضاً؛ فشرب الخمر، وتهاون في الصلاة!!!

أقول: قال الشيخ - رحمه الله - في رسالته إلى عالم بغداد (الشيخ عبد الرحمن السويدي) - رحمه الله - بعد أن بيّن له عقيدته، وما يدعو الناس إليه من إخلاص العبادة الله - تعالى -، وإنكار ما فشا في الناس من أمر الشرك؛ من دعاء الأموات، والالتجاء إليهم من دون الله - تعالى- ، قال - رحمه الله -: "فإني ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة، وإيتاء

الزّكاة، وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الرِّبا، وشرب الخمر والمسكرات، وأنواع المنكرات، فلم يمكن الرؤساء القدحَ في هذا وعيبه؛ لكونه مستحسناً عند العوام، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمرُ به من التوحيد، وأنهى عنه من الشرك، ولبَّسوا على العوام: أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس، وكبرت الفتنة جداً، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان وَرَجِلِه، منها: إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه، فضلاً أن يفتريه، - ...وبعد أن عدَّد أموراً كثيرة مما نسب إليه - قال: والحاصل أن ما ذُكر عنّا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنَّهي عن الشرك، فكله من البهتان، وهذا لو خفي على غيركم فلا يخفى عليكم" اهـ(32 .(

واقرأ هذه الشهادة من الضابط البريطاني (سادلير)، واصفاً ما سمّاهم (الوهابيين): "مع سقوط (الدرعية)، وخروج (عبد الله) عنها، ويبدو أن جذور (الوهابيين) قد انطفأت، فقد عرفت من كلّ (البدو) الذي قابلتهم في (نجد) أنهم سنِّيون، وأنهم يداومون على (الصلاة) المفروضة حتى في السفر الطويل، وتحت أقسى الظروف"(33). وهذا الكلام في أتباع (الشيخ محمد بن عبد الوهاب (بعد وفاته فتأمل!!

الملاحظة العاشرة: ذكر في (ص 54 (بأنَّ (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ذهب إلى (أصفهان وشيراز.(

أقول: الشيخ - رحمه الله - لم يذهب إلى (أصفهان وشيراز)، فإن الذين ترجموا للشيخ حرصوا على تدوين كلّ ما يتَّصل برحلاته، وبذكر البلاد التي زارها، ولم يذكر أحدٌ منهم ذهاب الشيخ - رحمه الله - إلى (فارس وإيران وقم وأصفهان وشيراز)! ومن ذكر هذا إنما نقله عن بعض المستشرقين الذين ذكروا ذلك في مؤلفاتهم المعروفة بالأخطاء، ومجانبة الحقيقة، أمثال: مرجليوث في "دائرة المعارف الإسلامية"، وبرايجس، وهيوجز، وزيمر، وبلقريف(34 .(

الملاحظة الحادية عشر: ذكر في (ص 54) أن (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) يؤمن (بالتقية.(

أقول: قال الشيخ - رحمه الله - في معرض ردِّه على (الرَّافضة) في مسألة (التقيّة): "والمفهوم من كلامهم أن معنى (التقية (عندهم: كتمان الحق، أو ترك اللازم، أو ارتكاب المنهي؛ خوفاً من الناس، والله أعلم.

فانظر إلى جهل هؤلاء الكذبة، وبنوا على هذه (التقية) المشؤمة كتم علي نص خلافته ومبايعة الخلفاء الثلاثة...

وهذا يقتضي عدم الوثوق بأقوال أئمة أهل البيت وأفعالهم؛ لاحتمال أنهم قالوها أو فعلوها (تقية...!(

ما أشنع قول قوم يلزم منه نقص أئمتهم المبرئين عن ذلك" اهـ(35 .(

الملاحظة الثانية عشرة: ذكر في (98)، أن من الخطط التي وضعت (للشيخ محمد بن عبد الوهاب) تكفير كل المسلمين، وإباحة قتلهم، وسلب أموالهم !!

أقول: هذا من الافتراءات الكثيرة التي روجها أعداء (الدعوة)، وأنا ناقل من كلام (الإمام محمد بن عبد الوهاب) ما يدحض هذه الفرية، ويبين أن منهجه في (التكفير) هو (منهج أهل السنة والجماعة .(

قال - رحمه الله -: "أركان الإسلام الخمسة: أولها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة؛ إذا أقر بها وتركها تهاوناً، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفّره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود، ولا نكفّر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان" اهـ(36)، وقال - رحمه الله -: "ولا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما؛ لأجل جهلهم، وعدم من ينبِّههم"اهـ(37)، وقال - رحمه الله -: "وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفِّر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وأنَّا نكفِّر من لم يكفّر ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدُّون به الناس عن دين الله ورسوله..." اهـ(38)، وقال - رحمه الله -: "ولا نشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكني أرجو للمسلم، وأخاف على المسيء" اهـ(39)، وقال - رحمه الله -: "ولا أكفر أحداً بذنب، ولا أُخرجه من دائرة الإسلام" اهـ(40)، وقال - رحمه الله -: "وأما ما ذكره الأعداء عني أنِّي أكفِّر بالظنِّ، والموالاة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم؛ يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله" اهـ(41)، وقال - رحمه الله - : "والله يعلم أن الرجل - ابن سحيم - افترى علي أموراً لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها: أني أكفر البوصيري، وأني أكفر من حلف بغير الله ...جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم" اهـ(42)، وقال - رحمه الله:- "وأجلبوا علينا بخيل الشيطان وَرَجِله، منها: إشاعة البهتان بما يستحي أن يحكيه، فضلاً على أن يفتريه، ومنها ما ذكرتم: أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟!!..." اهـ(43)، وقال - رحمه الله -: "وكذلك تمويهه على الطغام بأنَّ ابن عبد الوهاب يقول: الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهد على ما يعمله من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله، فهو مسلم في أي زمان وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته بعد ما تبين له الحجة على بطلان الشرك" اهـ(44) وقال - رحمه الله -: "وأما القول: أنَّا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء،

الذي يصدّون به عن هذا الدِّين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم" اهـ(45 .(

والآن أذكر لك أيها (القارئ الكريم (شهادة (حق) من بعض العلماء على هذا الكلام:

قال الشيخ العلامة الكبير المحدِّث الفقيه النحرير (محمد بشير السهسواني الهندي) نافياً عن الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) تهمة (تكفير المسلمين واستباحة قتلهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم): "إن الشيخ وأتباعه لم يُكفروا أحداً من المسلمين، ولم يعتقدوا أنهم هم المسلمون، وأنَّ من خالفهم هم المشركون، ولم يستبيحوا قتل أهل السُّنَّة وسبي نسائهم... ولقد لقيت غير واحد من أهل العلم من أتباع الشيخ، وطالعت كثيراً من كتبهم، فما وجدت لهذه الأمور أصلاً وأثراً، بل كل هذا بهتان وافتراء" اهـ(46)، وعلّق (الشيخ محمد رشيد رضا) على الكلام السابق بقوله: "بل في هذه الكتب خلاف ما ذُكر وضدُّه، ففيها أنهم لا يُكفّرون إلا من أتى بما هو كفر بإجماع المسلمين" اهـ(47.(

الملاحظة الثالثة عشرة: ذكر في (98) أن من الخطط التي وضِعت) للشيخ محمد بن عبد الوهاب)، هدم القباب والأضرحة .

أقول: أخرج (مسلم) في" صحيحة" عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي - رضي الله عنه -: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ "أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ."

وأخرج عن جابر - رضي الله عنه - قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُجصّص القبر، وأن يبنى عليه، وأن يكتب عليه."

وأخرج عن ثمامة بن شّفيّ قال: كنّا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره يُسوى، ثم قال: "سمعت رسول الله صلى الله علية وسلم يأمر بتسويتها."

قال الترمذي - رحمه الله -: "باب ما جاء في تسوية القبور."

وقال ابن ماجه - رحمه الله -: "باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها."

قال النووي - رحمه الله – في شرح صحيح مسلم : قال الشافعي– رحمه الله-: "رأيت الأئمة في مكة يأمرون بهدم ما بُني ."

و "الذي يرجع لمبدأ) البناء على القبور) في (العالم الإسلامي)، يراه مرتبطاً بقيام (دولة القرامطة) في) الجزيرة العربية)، (والفاطميين) في (المغرب) ثم في (مصر)"(48 .(

الملاحظة الرابعة عشرة: ذكر في (99) أن من الخطط التي وضعت) للشيخ محمد بن عبد الوهاب)، نشر قرآن فيه تعديل كما جعل في الأحاديث من زيادة ونقيصة !!

أقول: إليك عقيدة الشيخ - رحمه الله - في (القرآن الكريم)، وحكم الزيادة فيه، والنقص منه: قال - رحمه الله -: "واعتقاد ما يُخالف كتاب الله كفر "اهـ(49)، وقال - رحمه الله -: "فمن اعتقد ما يُخالف كتاب الله فقد كفر"اهـ(50(، وقال – رحمه الله-: "ومن اعتقد عدم صحة حفظ القرآن الكريم من الإسقاط، واعتقد ما ليس منه أنه منه؛ فقد كفر" اهـ(51)، وقال - رحمه الله -: "ومُكذّب القرآن كافر ليس له إلا السيف وضرب العنق" اهـ(52)، وقال - رحمه الله -: "ومن هزل بشيء فيه ذكر الله، أو القرآن، أو الرسول؛ فهو كافر" اهـ(53 .(

الملاحظة الخامسة عشرة: ذكر في (ص101) أن (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) استبعد أن يقدر على (هدم الكعبة) عند الاستيلاء عليها.

أقول: أكتفي بالجواب على هذا الهراء؛ بنقل شهادة) رجل) (ليس من أهل نجد)، بل وليس من مؤرخي (المشارقة)، وإنما هو من مؤرخي) المغاربة)؛ يحكي لنا واقعة بعد وفاة (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) (بعشرين سنة (تقريباً، وهذا الرجل هو (أحمد الناصري) صاحب كتاب: "الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى"(54)، وقد غطى حيزاً كبيراً من أخبار (دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)؛ بأكثر من (عشر صفحات .(

يقول (أحمد الناصري) عن السلطان (سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي) (55): "أنه أراد أن يتحقق من (ابن سعود) وما يدعو إليه، فأرسل ابنه) المولى إبراهيم في جماعة من علماء المغرب وأعيانه، ومعه (جواب) من والده، فوصلوا إلى (الحجاز)، وقضوا (المناسك)، وزاروا (الروضة الشريفة)، كل هذا على (الأمن والأمان)، (والبر والإحسان ."(

ثم أردف (أحمد الناصري) قائلاً: "حدثنا جماعة وافرة ممن حجَّ مع (المولى إبراهيم) في تلك السنة، أنهم، ما رأوا من ذلك (السلطان - (يعني الإمام سعود -؛ ما يُخالف ما عرفوه من (ظاهر الشريعة)، وإنما شاهدوا منه، ومن أتباعه غاية الاستقامة، (والقيام بشعائر الإسلام)؛ من (صلاة وطهارة)، (وصيام(، و(نهي عن المنكر الحرام)، (وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام)؛ التي كانت بهما من غير نكير، وأنه لما اجتمع (بالشريف المولى إبراهيم)، أظهر له التعظيم الواجب (لآل البيت الكريم)، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته، وكان الذي تولَّى الكلام معه (الفقيه القاضي)؛ (أبو إسحاق إبراهيم الزرعي)" اهـ(56 .(

الملاحظة السادسة عشرة: ذكر في (ص101-102) أنه بعد سنوات من العمل تمكنت الوزارة من جلب (محمد بن سعود) إلى جانبها، فأرسلوا إلى (محمد بن عبد الوهاب) رسولاً يبين له ذلك، ويظهر وجوب التعاون بين (المحمدين)؛ فمن (محمد بن عبد الوهاب) الدين، ومن (محمد بن سعود) السلطة!! ...

أقول: المذكور الثابت في (كتب التاريخ) أن الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) - رحمه الله - ذهب إلى (الدرعية) بلد (محمد بن سعود)، فعلِم به خصائص من أهل (الدرعية)، فزاروه خفية، ورأوه لا يزال على سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم (ثابتاً)، فأرادوا أن يُخبروا (محمد بن سعود)، ويشيروا عليه بنصرته، فهابوا فأشارت (المرأة) على (زوجها)، وكذلك أخواه (ثنيان ومشاري(، بمساعدة الشيخ ونصرته، وألقى الله - سبحانه - في قلبه للشيخ محبة ، فقام (محمد بن سعود) من فوره، وسار إليه، ومعه (أخواه)، فسلم عليه، ورحَّب به، وأبدى غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده، وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعزِّ والمنعة .

فقال (الشيخ): وأنا أبشِّرك بالعزِّ والتمكين، وهذه كلمة "لا إله إلا الله"؛ من تمسَّك بها وعمل بها ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرُّسل؛ من أولهم إلى آخرهم، وأنت ترى (نجداً) (وأقطارها) أطبقت على (الشّرك)، (والجهل والفرقة)، (وقتال بعضهم لبعض)؛ فأرجو أن تكون (إماماً) يجتمع عليه المسلمون، وذريتك من بعدك .

ثمَّ لَّما تحقَّق (محمد بن سعود) من معرفة التوحيد وفضله، ورأى بُعدَ الناس في الواقع عنه، قال للشيخ: يا شيخ! إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه، وأبشر بالنُّصرة لك ولِما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد " (57(

الخاتمة : قد وجد القدح في (هذه الدعوة) صدى في نفوس (راغبي الزعامة) (والتسلط)، باسم) المعرفة والعلم)، ولدى (أصحاب الأهواء) و(المصالح الظاهرة) أيضاً .

هذا من) جانب)، ومن (جانب) آخر انطلت (النسبة) إلى (الوهاب): (الوهابية) نبزاً بدعوة الشيخ!!، وهي نسبة غير صحيحة –من حيث مراد الطاعنين-، لأنهم لو نسبوها (للشيخ محمد (لصارت (محمدية)، ولا يتحقق لهم ما أرادوا؛ لأن (الدين الإسلامي) كلمة يسمى (الرسالة المحمدية)، نسبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم، الذي بلّغها عن ربه(58 .(

وما أرادوه بالطعن منلقبٌ عليهم ؛ فـ(الوهابية) نسبة إلى الله –تعالى- الذي من أسمائه– سبحانه-: "الوهاب"؛ فالحمدلله .

ولا أستبعد أن يكون جميع من كتب متهجماً على) الشيخ محمد) (ودعوته)، ومن يقوم بنشر ذلك بين الناس لم يقرأ واحداً من كتبه؛ سواء في (التوحيد والعقيدة)، أو (الفقه والأحكام)، أو (التفسير)، أو (السيرة النبوية(، بل إنه لم يناقش رأياً مما قال، وإنما حرَّكتهم (المصالح الدنيوية)، (وأعماهم الهوى)... (59(

وقد أثبتت الأيام صدق وإخلاص (الشيخ محمد) –رحمه الله-، حيث بقي صدى الدعوة، بل ازداد، وحرص الناس في كل مكان على تتبع كتبه –رحمه الله-، ودراستها ، كما عاد كثير من المناوئين إلى رُشده ، بعدما استبان لهم سلامتها ، وصدق هدف الداعية ؛ (لأن الحق أحق أن يتَّبع) (60 .(

هذا إلى (جانب) اهتمام المسلمين بها في كل مكان، وتحقق طلبة العلم من صدق الهدف ، وبُعدها عن مسارب البدع والخرافات التي أنكرها علماء الإسلام في كل مكان .

ولقد زاد الأمر وضوحاً أن الناس في كل مكان ما كانوا ليقنعوا إلا بما هو واضح ، يدعمه الدليل ، فوضح أمامهم أن (محمد بن عبدالوهاب) كغيرة من الدعاة المصلحين جاء ليجدد الدعوة ، وينقي العقيدة من الفساد ، الذي أُدخل عليها نتيجة الجهل؛ أداء للأمانة، ونصحاً للأمة ، ليعيد الناس بأعمالهم واعتقاداتهم إلى (منهج السلف الصالح)، منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى نهاية القرن الثالث الهجري ؛ حيث بدأت البدع تدخل الصف الإسلامي، نتيجة غلبة الأمم، والتأثر بثقافات الأمم الأخرى في معتقداتها، ولضعف العلماء في أداء الأمانة(61 .(وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الهوامش:

(1)وقفت على نسختين لهذه (المذكرات)؛

الأولى باسم: "اعترافات الجاسوس الإنجليزي" الطبعة الرابعة، قد طبعت طبعة جديدة بالأوفست وقف الإخلاص، تطلب من مكتبة الحقيقة بشارع الشفقة بفاتح 57 استانبول – تركيا.. هجري قمري (1413)، هجري شمسي (1370)، ميلادي (1992)؛ تقع في (103) صفحة من القطع الوسط، وبآخرها ملحق بعنوان: (عداوة الإنكليز للإسلام) (ص104-148)، وملحق آخر بعنوان (خلاصة الكلام) (149-186 .(

الثانية باسم: "سيطرة الإنكليز ودعمهم لمحمد بن عبدالوهاب"، أو "مذكرات مستر همفر الجاسوس البريطاني في البلاد

الإسلامية ."
نقله إلى العربية الدكتور (م،ع،خ)، تقع في (85) صفحة من القطع الوسط! ولا يوجد عليها أي معلومات عن دار الطباعة أو سنة الطبع!!
" (2)تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية": (ص 39) د. محمد بن سعد الشويعر.
(3)قال الإمام محمد بن عبدالوهاب– رحمه الله-: "لست –ولله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أُعظّمُهم، مثل: ابن القيم، والذهبي، وابن كثير، وغيرهم، بل أدعو إلى الله –وحده لا شريك له-، وأدعو إلى سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أردُّ الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه: إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنّها على الرأس والعين، ولأضربنَّ الجدار بلك ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يقول إلا الحق..." اهـ (القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب –الرسائل الشخصية): (ص252.(
(4) كما في (ص 14، 19) من "مذكراته."
(5) كما في (ص 15،18 ، 27، 28، (44من "مذكراته.!"
(6)قال شيخ الإسلام (ابن تيمية) –رحمه الله" :-لم يزل الله –سبحانه وتعالى- يقيم لتجديد الدين من الأسباب ما يكون مقتضياً لظهوره، كما وعد به في الكتاب، فيظهر به محاسن الإيمان ومحامده، ويعرف به مساوئ الكفر ومفاسده، ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين...، وذلك أن الحق –إذا جُحد وعُورض بالشبهات –أقام الله- تعالى- له مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات، بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة... قال –تعالى-: (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) [آل عمران: 179] اهـ. "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح-1/84) :" 87).
" (7)سير أعلام النبلاء" (14/277.(
(8)وهذا ما وقع به التصريح في (مجلة منار الهدى)، (الحبشيَّة الهريَّة) (العدد 28)، رمضان 1415هـ - شباط 1995، في (ص62): "وفي عام (1125هـ - 1713) وقع في شراك الجاسوس الإنجليزي) همفر) وأصبح آلة لمساعي الإنكليز لمحو الإسلام، ونشر عبد الوهاب ما أملى عليه الجاسوس من الأكاذيب باسم (الوهابية)". أهـ .
فسبحان من أعمى أبصارهم وبصائرهم!!!...
(9)أنظر: "عنوان المجد في تاريخ نجد" لعثمان بن بشر.(1/29) :
(10)انظر كتاب: "انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية" - لمحمد كمال جمعة - (ص 63 - 87.(
(11)انظر: "رحلة عبر الجزيرة العربية" لسادلير: (ص85 - 87 وص96 - 99 و ص105 - 110 و ص149 و ص156 - 159). ترجمة: أنس الرفاعي، والناشر: سعود بن غانم العجمي.
(12)أنظر: "محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم ومفترى عليه" لمسعود النَّدري: (ص 150 - 154.(
(13)وهي مطبوعة بتحقيق ناصر بن سعد الرشيد مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة .ط: الثانية، طبعت بإشراف دار المأمون للتراث 1400هـ.
(14)ومن رام الاستزادة والوقوف على حقيقة هذا الكلام وأضعافه، فلينظر كتاب "أصول مذهب الشيعة الإثني عشرية عرض ونقد" للدكتور ناصر القفاري.
(15)انظر: "عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي" للدكتور صالح بن عبدالله العبود: (1/178-179.(
(16)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية - ص 96."
(17)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية - ص 107."
(18)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية - ص 101."
(19)أي: أتباع الشيخ (محمد بن عبد الوهاب.(
" (20)صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان": (ص 510 - 511) في الحاشية.
(21)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية - ص 11."
(22)مؤلفات الشيخ "القسم الأول - العقيدة - ص 394."

(23)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية - ص 32."

(24)انظر: "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي": (1/40 - 41)، و "انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية" لمحمد كمال جمعة: (13)، و "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور العجلاني: (47.(

(25)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية - ص 10."

" (26)رسالة في الرد على الرافضة": (14.(

" (27)رسالة في الرد على الرافضة": (18.(

" (28)رسالة في الرد على الرافضة": (27.(

" (29)رسالة في الرد على الرافضة": (17.(

(30)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية -" (ص 11.(

" (31)رسالة في الرد على الرافضة" (ص 34 - 35.(

(32)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية - ص 36)"، وانظر كتاب: "البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار" لفوزان السابق: (ص 81 - 82)، وانظر كتاب" :دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد" لعبد العزيز العبد اللطيف: (ص 170 - 171)، و"الدرر السَّنية في الأجوبة النجدية": (1/65.(

" (33)رحلة عبر الجزيرة العربية" لسادلير: (ص 139.(

(34)انظر: "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي" للدكتور صالح بن عبد الله العبود (1/ 175 - 176).

" (35)رسالة في الرد على الرافضة": (ص 20 - 21) بتصرف.

" (36)تاريخ نجد": (2/271)، ومؤلفات الشيخ "القسم الثالث - الفتاوى - ص 9"، و"الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النجدية" (1/102.(

(37)مؤلفات الشيخ "القسم الثالث - الفتاوى - ص 11."

(38)مؤلفات الشيخ "القسم الثالث - الفتاوى - ص 11."

(39)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص 11."

(40)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص 11."

(41)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص 25."

(42)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص 11، 12،"62

(43)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية - ص 36.

(44)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص 60."

(45)مؤلفات الشيخ "القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص 100 - 101."

" (46)صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان": (ص 510.(

" (47)صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان": (ص 510) في الحاشية.

" (48)تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية" للدكتور محمد بن سعد الشويعر) :ص 103(

" (49)رسالة في الرد على الرافضة": (14، 7.(

" (50)رسالة في الرد على الرافضة": (8.(

" (51)رسالة في الرد على الرافضة": (15.(

" (52)رسالة في الرد على الرافضة": (25.(

(53)مؤلفات الشيخ "القسم الأول - العقيدة - ص."118

(54) (8/ 120 - 122).

(55)الذي بويع في (فاس) في حدود عام (1226 هـ)، وقد كان معاصراً للإمام (عبد الله بن سعود)، ووالده الإمام (سعود بن عبد العزيز)؛ الذي دخل مكة المكرمة في المرة الأولى حاجاً عام (1214 هـ) الموافق لعام 1799) م.(

(56)وانظر: "الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام" للعباس بن إبراهيم: (10/ 68 - 73). نقلاً من كتاب "تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية "بتصرف.

(57)انظر: "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية" (2/162 - 167 (تصرف.

" (58)تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية" (ص79.(
" (59)تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية" (ص84- 85.(
" (60)تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية" (ص.(90
" (61)تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية" (ص 112 .(

هناك العديد من المؤرخين الذين تناولوا شخصية همفر وبينوا كذب ما حيك حولها وحول علاقتها بالشيخ محمد بن عبدالوهاب...
ولعل من اوفى الدراسات التاريخية الموثقة عن همفر ما جاء في رد كتبه الدكتور فهد السماري وجاء فيه ما يلي:

همفر شخصية مزيفة وصنيعة إعلامية وسياسية

رداً على د. أحمد شوقي الفنجري

بقلم : د. فهد بن عبدالله السمارى

أمين عام دارة الملك عبد العزيز

ليس غريبا أن يستخدم التاريخ كأداة إعلامية لتزييف الحقائق من أجل النيل من دولة أو مجتمع أو شخصية أو حركة، فلقد ظهرت العديد من القصص المنسوجة والمزورة والتي حبكت بشكل مثير واستخدمت بعض الأحداث التاريخية من أجل التشويه والدعاية السياسية المضادة، ولكن الغريب في الواقع هو أن ينساق بعض المثقفين والباحثين والكتّاب وراء تلك القصص المزورة التي هي جزء من حرب إعلامية قذرة لا تمت إلى العلم بأية صلة، فلقد اطلعت على ما نشر في مجلة «روز اليوسف» في 15-21/7/2006م بقلم أحمد شوقي الفنجري بعنوان «جاسوس بريطاني ينشر الوهابية» معتمدا على كتاب مزيف لمؤلف مزور هو «همفر»، وجاء في تلك المقالة ما يؤيد مضمون ذلك الكتاب والوقوع في فخ الدعاية والتزييف الذي قصد من خلال صياغته وتزييفه. وأود هنا أن أشير إلى بعض النقاط لإيضاح جوانب هذا الكتاب المزيف كي يتنبه إليه القراء والباحثون والكتّاب.
أولاً: يعد هذا الكتاب من الصنائع الإعلامية التي يبدو أن مصدرها مؤسسات أرادت النيل من الدولة السعودية والدعوة الإصلاحية وإثارة الفتن وبذور الشقاق بين المسلمين. ولقد ظهرت العديد من المؤلفات المزورة ضد المملكة العربية السعودية ومواقفها وتاريخها في هذا السياق.
ثانياً: ظهر هذا الكتاب في عدة طبعات إعلامية منذ الثمانينيات الميلادية بشكل يدل على أنه عمل مقصود لتشويه أساس الدولة السعودية، فالعنوان يتغير من طبعة لطبعة، واسم المترجم غامض، إذ استخدمت الحروف المختصرة وهو الدكتور «ج خ»، ويكفى أن العنوان يكشف عن هدف الكتاب حيث وردت عبارات إعلامية مثيرة يستحيل أن تكون موجودة في الأصل إن كان موجودا، فالغلاف الخارجي حمل عنوان «مذكرات مستر همفر: الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية»، وجاء في الغلاف الداخلي صيغة أخرى للعنوان وهى «سيطرة الانكليز ودعمهم لمحمد بن عبد الوهاب أو مذكرات مستر همفر الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية»؟
ثالثا: جاء في مقدمة الكتاب المصنوع هذا صياغة واضحة للهجوم على المملكة العربية السعودية وقادتها والهجوم على المذهب السني. وقام بتوقيع المقدمة اسم غامض أيضا حمل الحروف المختصرة الآتية «د.م.ع.خ». وأرخت هذه المقدمة في عام 1990م مما يدل على أن هذه طبعة جديدة أريد بها إحياء هذا الكتاب المزيف.
رابعا: من المعروف علمياً أن الكتاب المترجم إلى لغات أخرى يوجد له أصل بلغته، وفى حالة كتاب همفر المصنوع هذا لا نجد أن أصلا له بالإنجليزية، ولم يسبق أن اطلع عليه أحد من الباحثين. بل لقد بحثت شخصيا في أرشيف دار السجلات العامة بلندن وأرشيف وزارة الهند ووزارة المستعمرات في لندن التي ورد في هذا الكتاب المزيف أنها هي الجهة التي كلفت المؤلف بالمهمة، ولم أعثر على أصل له، بل لم أعثر على شخصية بريطانية بهذا الاسم فى تلك الفترة المبكرة باعتباره

موظفا في وزارة المستعمرات كلف بمهمة شركة الهند الشرقية.. كما زعم الكتاب.
وهل يعقل أن تظهر مثل هذه المذكرات بالإنجليزية ولا يعرف عنها أحد سوى الجهة التي تبنت صناعته ونشره بالعربية، مع علمنا بأن المصادر الإنجليزية واضحة ومعلنة ومتوفرة ومتاحة وليست مجالا للسرية والانغلاق؟! أين هذه الأحداث والتطورات وهى برعاية وزارة المستعمرات البريطانية من التقارير التي نشرها مبعوثون بريطانيون زاروا المنطقة في القرن التاسع عشر الميلادى مثل ويليام بلجريف ولويس بيلي، وإذا رجعنا إلى التقارير البريطانية المشهورة مثل تقارير سلدانا البريطانية، والتي صدرت فى عام 1904م حول شئون نجد خلال الفترة من 1804-1904مprecis of nejd affairs 1804-1904 ja saldanha, simla1904وتضمنت رصدا بأبرز التطورات في تاريخ الدولة السعودية من منظور بريطاني لم يظهر به أي إشارة إلى ما ورد في هذا الكتاب المزعوم. خامسا: باستعراض نص المذكرات يتبين عجب العجاب الذي يستغرب أن يصدقه أحد، فهل يعقل أن يأتي هذا الشخص البريطاني ويملي على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما يريد، والشيخ رحمه الله معروف بعلمه الشرعي وموقفه الديني واستقلاليته، كيف يصدق أحد اختزال دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مثل هذه القصة الخيالية المنسوجة وغير المعقولة على الإطلاق، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن آثار تلك الدعوة الإصلاحية تجاوزت أرض الجزيرة العربية لتجد لها صدى في مصر والشام والمغرب العربي والسودان وغيرها من البلاد العربية والإسلامية.
سادسا: إذا سلمنا بمثل هذا التزييف وتلك العلاقة المصنوعة، فلماذا غاب ذلك عن المعارضين للدعوة في عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعده؟ فلقد ناقش عدد من العلماء جوانب عديدة من دعوة الشيخ واعترضوا عليها ولم يشر أحدهم إلى تلك العلاقة المزعومة؟!
سابعا: إن هدف الكتاب كما يتضح من عنوانه ومضمونه هو الترويج لاتهام دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وتأسيس الدولة السعودية بأنها صنيعة بريطانية!! والترويج أيضا لقوة الفرس الشيعة وحرصهم على حماية الإسلام ومحاربة الكفار من أجل نشر بذور الفتنة والشقاق بين الشيعة والسنة، كما هو واضح من ثنايا نصوص الكتاب، انظر على سبيل المثال ص «7» حيث قال: «وكان المسلمون «الشيعة» في البلاد الفارسية أخطر حيث إنهم يرون المسيحية كفارا نجسين، فإن المسيحي عند الشيعي بمنزلة القذارة المتعفنة في يد أحدنا حيث يصرف همته في إزالته» وفى ص «9» ورد:«إن أهل السنة كانوا أقل اتباعا لعلمائهم، فإنهم يقيمون الولاء بين السلطان وبين شيخ الإسلام، وأهل الشيعة كانوا أشد ولاء للعلماء لأنهم يخلصون الولاء للعالم فقط ولا يعيرون السلطان أهمية كافية»؟! وانظر إلى الحديث عن الشيعة الواضح من حيث التأييد حيث يقول المؤلف المزيف: «وإننى أظن أن الحق مع الشيعة.. لأن الثابت من التاريخ الإسلامي حسب مطالعاتي أن علياً كان يمتاز بصفات نفسية عالية تؤهله للقيادة»؟! أليس هذا دليلاً واضحا على مصدر نشر هذا الكتاب المزيف؟
ولكي يهيئ الأرضية للترويج لفكرته وزيفه الأساسي بسط الكتاب المزعوم مسألة اهتمام بريطانيا بنشر المسيحية والقضاء على المسلمين متجاهلا ما حدث فعلا من حيث الاستعمار البريطاني ومقاصده السياسية والاقتصادية. ولنقرأ ما طلب من همفر من حيث مهمته: « أن تجد نقطة الضعف عند المسلمين والتي نتمكن بها من أن ندخل في جسمهم ونبدد أوصالهم.. أن تكون أنت المباشر لهذا الأمر إذا ما وجدت نقطة الضعف»، هل يصدق أحد هذا الزيف؟ هل يصدق أحد اختزال السياسة البريطانية الاستعمارية في مثل هذه المهمة المنوطة بشخص واحد من حيث البحث عن نقاط الضعف ومباشرة العمل على تبديد الأمة الإسلامية؟!
وعندما بدأ الكتاب المزيف الحديث عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وقال بأن المؤلف تعرف عليه عندما كان يتردد على دكان نجار في البصرة، وكان الشيخ يتقن اللغات الفارسية والتركية والعربية، وهذه أولى المغالطات إذ لم يعرف عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إتقانه للغات أخرى غير العربية، كما أن تردد الشيخ على دكان لنجار وهو في البصرة غير متفق مع ما تذكره المصادر المعاصرة التي أشارت إلى انشغاله بالعلم الشرعي وتلقيه من العلماء في مجالسهم والمساجد؟! والمثير للاستغراب أن يشير المؤلف المزيف إلى أن اعتماد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة هو نقطة الضعف التي تمكن من التسلل منها إلى الشيخ، وهذا أمر غريب إذ إن الاعتماد على هذين الأصلين -القرآن والسنة- مدعاة لرفض هذا البريطاني وعدم الدخول معه في صداقة أو علاقة وليس العكس؟! ويواصل المؤلف المزيف الحديث عن إقناع الشيخ بتغيير رأيه في أصول من الدين لا يمكن الاختلاف حولها سواء حول تحريم الخمر أو الصوم أو الصلاة وغيرها، وهذه أمور غير مقبولة.
وفى نهاية الكتاب يتم سرد الخطة البريطانية لتدمير الأمة الإسلامية ويضع شخصية الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مركز هذه الخطة، ثم يتم الحديث عن أن وزارة المستعمرات تمكنت من استمالة الإمام محمد بن سعود إلى جانب بريطانيا ليكتمل بذلك الهدف الأساسي من تزييف الكتاب وهو اتهام الدولة السعودية بأنها «صنيعة بريطانية»، لقد أخطأ مزيفو هذا

الكتّاب اختيار هذه الدعوة الإصلاحية المعروفة باعتمادها على مبادئ أصيلة من مبادئ الإسلام، وأخطأوا أيضا في اختيار قلب الجزيرة العربية التي لم تعرف استعمارا أو احتلالا طيلة التاريخ، لكي يختزلوا تاريخ أمة بأكملها تمكنت من إنشاء دولة إسلامية واسعة النفوذ تقوم على أساس ديني صحيح في تهمة مزعومة ومزيفة، والدليل الأهم هو أن الدولة السعودية عندما قامت في أرض الجزيرة العربية وبدأت بالدرعية، لم تأت من فراغ، لأن استقرار أسرة آل سعود في المنطقة يعود إلى أزمنة قديمة باعتبارهم ينتمون إلى قبائل بني حنيفة التي كانت تستوطن المنطقة، وتاريخها معروف، وأعادوا تأسيس حكمهم في الدرعية في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وناصروا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ليؤسسوا بذلك الدولة السعودية الأولى، وعندما سقطت تلك الدولة بفعل الهجوم التركي عليها بقيادة إبراهيم باشا سنة 1818م، عادت الدولة السعودية الثانية إلى الظهور سنة 1824م، وعندما سقطت الدولة السعودية الثانية بفعل الخلافات بين أبناء الإمام فيصل بن تركي سنة 1891م، عادت مرة ثالثة لتظهر في بداية القرن العشرين الميلادي عندما تمكن الملك عبد العزيز رحمه الله من استعادة تأسيسها في الرياض سنة1902م، ولتصبح ما يعرف اليوم بالمملكة العربية السعودية، هل هذه الدولة المستمرة والتي تضرب بجذورها في عمق التاريخ صنيعة أو ضمن مخطط مختلق- كما زعم هذا الكتّاب المصنوع- أليست هذه التطورات تدل على أن الدولة السعودية راسخة وقوية ومبادئها واضحة مكنتها من الظهور عند اختفائها لعوامل سياسية؟

إذن علينا أن ننتبه إلى مثل هذه الكتب المزيفة والتي تشوه تاريخ بلادنا الإسلامية وتتجه بها نحو تعزيز الطائفية وإحداث الفتنة بين المسلمين، خاصة إذا كانت تستخدم التاريخ أداة لها لتمرير تهمها وأغراضها السياسية القذرة.

فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية بريئة من جميع التهم التي وجهت إليها من خلال هذا الكتّاب المزعوم، وليس هذا مجالا لمناقشة هذه التهم لأنها لا ترقى إلى النقاش لسذاجتها من جهة، وخبث صناعتها من جهة أخرى، وعدم استنادها إلى مصادر أو أسس علمية.

http://www.alradnet.net/paper/paperA...php?id_pap=501

مذكرات الجاسوس البريطاني همفر

عبدالله ابراهيم العسكر

*سألني دان فيندال من لوس أنجلوس عن المدعو همفر ومذكراته التي تدور حول تاريخ الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ـ الثامن عشر الميلادي ـ ، وخاصة علاقة همفر هذا بالشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ وقد زوّدني بصفحات مصورة من تلك المذكرات واصفاً إياها بالمصدر التاريخي الرئيس للحركة الوهابية. والحق أنني ما سمعت بهمفر هذا من قبل، ولم يسبق أن قرأت شيئاً من مذكراته، فخالجني شعور أن وراء الأكمة ما وراءها، واستمهلته اياماً لعلني أستدل عليه. وسألت بعض الأصدقاء المهتمين بتاريخ الدعوة السلفية، كما أنني لم أجد من رجع له من المؤرخين وغيرهم. ثم عرجت على صفحات الشبكة العنكبوتية أبحث في المكتبات العالمية عن همفر ومذكراته، فما وجدت ما يفيدني مع كثرة بحثي.

ثم قرأت الصفحات التي زودني بها السائل فوجدتها لا تستحق عناء البحث عنها، فعوارها واضح، ودعواها زائفة لاشك في ذلك. ولولا ان السائل من طلبة العلم وخشية ان يغتر بها أو بمثلها ما تجشمت كتابة هذه الأسطر. والسائل يقول إنه ينتظر رأيي أو غيري منشوراً ليستند عليه.

وما يخص الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مذكرات المدعو همفر يغطي مُعظم الصفحات التي اطلعت عليها. ولعل في نقل بعض ما ورد في المذكرات.. يُعطي صورة لا لبس فيها على فسادها. وخبث من كتبها ونشرها.

يقول همفر عن نفسه إنه كان مسؤولاً عن شركة الهند الشرقية، ويقول في صفحة أخرى إنه أرسل من قبل وزارة المستعمرات البريطانية عام 1710م إلى مصر والعراق وطهران والحجاز والآستانة لكي يجمع المعلومات الكافية من أجل بث الفرقة بين المسلمين وبسط السيطرة البريطانية على البلاد الإسلامية. وفي الآستانة بدأ همفر في تعلم اللغتين العربية والتركية واشتغل عاملاً عند نجار، وكان يسكن مع خادم المسجد المجاور للمنجرة التي يعمل فيها. وفي الآستانة التقى بعالم من علماء الدين اسمه أحمد أفندي الذي تولى تعليمه القرآن وبعض فرائض الإسلام. وقد كال همفر أشنع الصفات لكل من خادم المسجد والنجار. بينما امتدح أحمد أفندي.

المحطة الثانية في مذكرات همفر هي البصرة في العراق. وكانت مهمته حسب ما ورد على لسان رئيسه هي: تقصي النزاعات العرقية والقبلية والإقليمية والقومية والمذهبية السائدة بين سكان العراق والمناطق المحيطة به. أقام همفر في نُزل متواضع ولكنه تركه لأن صاحبه اشترط عليه الا يبقى عازباً وسكن مع نجار فارسي أسمه عبدالرضا من أجل ان يتعلم اللغة الفارسية،. وعند ذلك النجار يقول همفر ما نصه: (تعرفت على شاب يعرف اللغات العربية والفارسية والتركية، وكان يلبس ملابس طلبة العلوم الدينية، ويُدعى محمد بن عبدالوهاب، وكان هذا الشاب في غاية الغرور والتكبر، عصبي المزاج شديد التشاؤم من الدولة العثمانية، ويرجع سبب صداقته بصاحب المنجرة عبدالرضا إلى عداوتهما المشتركة للخليفة العثماني) .. ويصف الشيخ محمد بأنه لا يقيم وزناً لأتباع المذاهب السنة الأربعة. وكان له فهم خاص للقرآن الكريم والسنة المطهرة. ولا يهتم بما ورد عن الصحابة أو التابعين. ويقول عنه إنه وجد ضالته في شخص الشاب محمد بن عبدالوهاب، وبدأ في عقد صداقة قوية معه من أجل كسبه إلى جانب بريطانيا في صراعها ضد العثمانيين. لهذا كله فقد شجعه همفر على التجوال في العراق وفارس من أجل كسب العلوم، ومن أجل إتاحة الفرصة له لكي يصبح أكثر انفتاحاً وتحرراً. وكانت وزارة المستعمرات البريطانية وراء تزويجه من سيدة من عملائها، ووراء دفعه للسفر وتحمُّل تكاليف معيشته وتنقلاته، وهي وراء دفعه إلى نجد وإشهار دعوته. سبحان الله ما أكذبه.!

اتضح الآن لكل ذي لب أن همفر ومذكراته من نسج الخيال الواهن، وهي مذكرات ينطبق عليها وعلى صاحبها صفة الصنيعة الإعلامية، ولكنها صنيعة إعلامية ضعيفة لأن من أعدها لا يعرف المعلوم من التاريخ بالضرورة. صحيح أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب سافر إلى البصرة، ولكن بعض الكتّاب المتأخرين توسعوا في قضية ترحال الشيخ لدرجة جعلوه ابن بطوطة الثاني. والصدق أنه لم يتعدَ البصرة.

لقد بحثت عن أصل المذكرات باللغة الانجليزية فلم أجد لها أصلاً، ثم بحثت في أسماء الموظفين الكبار في شركة الهند الشرقية فلم أجد اسم همفر. كما لم أجد من أحال إليه من المؤرخين والكتّاب المعروفين. ثم بحثت في كتب المعارضة للدعوة السلفية فلم أجد للمذكرات وصاحبها ذكراً. ولو كان له ذكر فلا يمكن أن تُغفله كُتب المعارضة. ثم طلبت من السائل معلومات أكثر عن اسم الناشر ومكان النشر وسنته، فقال لي أن ما لديه مصور لا يحمل شيئاً من ذلك كله.

ما أضعف مثل تلك الكتب والمذكرات فهي تسقط عند أول بحث صادق وأمين. وما ورد فيها لا يقبله العقل، والشيخ أكرم وأجل مما ألصق به بهتاناً وزوراً. وهي مما صنعه أعداء الدعوة السلفية. وأعداء الدعوة نوعان: الأول المعارضون لها من الناحية الدينية وهؤلاء يمكن التحاور معهم، لأنه يوجد أساس مشترك بين الاثنين. وقد جادلهم الشيخ في حياته، وحاورهم علماء الدعوة بعد ذلك. ومثل هذا الحوار لا مشاحة فيه، ولا ضرر منه طالما الحق والصدق مُراد المتحاورين. والنوع الثاني هم المعارضون السياسيون. وهم لا يهمهم الدين، ولا ينظرون للامور الخلافية بين المذاهب الإسلامية، همهم الوحيد الطعن في انتصارات الدعوة السياسية. لذلك نجدهم في القديم والحديث يرموننا بعُجرهم وبُجرهم. ومن أمثلة النوع الثاني من اخترع همفر ومذكراته.

لا أستطيع أن أعيّن تاريخ نشر تلك المذكرات طالما انها مجهولة الهوية، ومع هذا نستطيع أن نصف لغتها بالضعيفة جداً، وهي لغة الإعلام المسيّس، لا لغة العلم الرصين. ونستطيع ان نصف ما ورد فيها من تاريخ - وهو قليل - بالمزور والبيئن. ويظهر انها من المؤلفات التي كتبت أيام الحرب الباردة التي هبت على مشرقنا العربي، ولا جدال أن كاتبها لا يعرف عن الشيخ محمد إلا اسمه فقط. ولا جدال أنه كُلف ما لا يطيق. ومع هذا فغرور مؤلف المذكرات واضح وجليّ، ويبدو أن المعلومات القليلة التي يعرفها عن الشيخ محمد ودعوته جعلته يعتقد بصدق دعواه، فطفق يكذب ويكذب، وقد تحاشيت إكراماً للشيخ

وصيانة لنفسي من إيراد مقاطع كثيرة عن الشيخ ودعوته، لأنها مقاطع لا تنطبق عليها في نظري القاعدة التي تقول: ناقل الكفر ليس بكافر. وما كنت والله لأتعرض لهذه المذكرات لولا خوفي من افتتان بعض ذوي العقول الضعيفة والقلوب المكلومة بها أو شبيها لها.

أعود لغرور المؤلف، وهو غرور أوقعه في تهافت وسقطات لا يمكن قبولها. وغروره يذكرني بقول الشاعر المغرور أيضاً:

أتيه على جنّ البلاد وإنسها

ولو لم أجد خلقاً لتهتُ على نفسي

أتيه فما أدري من التيه من أنا

سوى ما يقول الناس فيّ وفي جنئسي

والآن وقد قلت رأيي في المدعو همفر ومذكراته، فانه يجمل بالمكتبات ومراكز البحوث في البلاد الغربية أن تكون على قدر من المسؤولية العلمية وتُقصي أمثال تلك المنشورات الساقطة عن رفوفها، وأنا متأكد أن أغلب المتخصصين في الغرب يعرفون تهافت مثل هذه المذكرات، ومتأكد أنهم لا ينصحون طلبتهم بالرجوع اليها، ولكن بقاءها معروضة لطلبة العلم يسيء لهم وللعلم الذي يدرسونه. فهل بلّغت يا دان فيندال؟ أرجو ذلك.

والشيء بالشيء يُذكر. ومما يحضرني الآن أن دانتج وليسون ـ المسؤول عن كتب الشرق الأوسط في الجامعة التي أدرس فيها ـ سألني عن كتاب مثل هذا الذي نعرض له، واقترحت عليه بعدم عرضه، لأنه من كتب الدعاية السياسية الساقطة، وليس من كتب التاريخ أو السياسة المعتبرة .فما كان منه إلا أن نزعه من الرف وأحاله لمجموعة الكتب المحجوبة.

المصدر:
http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=85577